مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٧) العدد (٤)
الإصدار الرابع والعشرون
(١-٦) ٢٠٢٤

الإيحاء الصوتي لمعاني سورة الانشراح

خديجة محمد أبو القاسم العائب

جامعة الزاوية كلية الآداب، قسم اللغة العربية، شعبة اللغويات.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ ديسمبر ٢٠٢٤م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

إنَّ الإيحاء الصوتي لدلالة ألفاظ هذه الآيات يتجلى في أجراس الأصوات التي تتآلف لتكوين كلمات ذات معانٍ، فلكل جرس صفاته التي تميزه عن غيره من أصوات الكلمة ذاتها، بحيث توحي بمعناها، وما تحمله أجراسها الصوتية من معانٍ تتعالق والمعنى العام للنص، وذلك بدراسة الأجزاء الصوتية للكلمات الواردة في سورة الانشراح، وكشف الدلالات الخفية لمعاني تكمن فيها، بالنظر في مخارج هذه الأصوات وصفاتها وعلاقاتها ببعض، وقد ارتبط الصوت في القرآن الكريم ارتباطًا وثيقًا بالمعاني التي تؤديها الألفاظ، وتعدُّ دلالة الصوت ركنًا أساسيًا في التعبير القرآني، من خلال تأثيره على السامعين

*** المقدمة**

الإيحاء الصوتي وجه من الوجوه المعجزة في القرآن الكريم، فالإيحاء الصوتي للمعاني يُعدّ من الظواهر الخارقة للقدرة البشرية العادية، والمعجزة الصوتية في القرآن الكريم، تتمثل في أصوات الحروف العربية وقدرتها على استيعاب ذلك الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، فمخارج حروفها أثبتت قدرتها على رصد المعاني في سلاسة ومرونة تامة، بحيث يوحي اللفظ بمعناه؛ فهو معجزٌ لأصحاب الذوق الرفيع في الفصاحة والبلاغة العربية في عصر نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم).

وكانت سورة الانشراح من السور المكية التي جابه بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبيلة قريش، أهل الفصاحة والبلاغة، ما جعل القرآن يصبح معجزًا بالنسبة لهم، فقد قارعهم بكل أنواع الإعجاز اللغوي، بما في ذلك الإعجاز الصوتي، لذلك اخترت سورة الانشراح، التي كان سبب نزولها أنَّ مشركي قريش عيَّروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (رضي الله عنهم) بالفقر والحاجة والضيق الذي هم فيه؛ فجاء وعد الله لهم في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

*** تعريف الإيحاء الصوتي**

الإيحاء لغة من أوحى يوحي إيحاءً، هو الإشارة والإيماء والخفاء والسرعة، إذا أشار إليه وأومأ، وجاء في تهذيب اللغة قول أبي إسحاق بأنَّ الوحي في اللغة إعلام في خفاء[١]، ومعناه السر، فسمّي الوحي لأنَّ الله تعالى خصَّ به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأسرَّه وأخفاه عن الخلق[٢]، فالإيحاء هو إلقاء المعنى بخفاء وسرعة[٣].

واصطلاحًا هو ما توحي به الأجراس الصوتية من معان، وذلك بدراسة الأجزاء الصوتية للكلمات، وما تحمله من دلالات لمعان خفية كامنة فيها، بالنظر في مخارج هذه الأصوات وصفاتها وعلاقاتها ببعض، وقد ارتبط الصوت في القرآن الكريم ارتباطًا وثيقًا بالمعاني التي تؤديها الألفاظ، وتعدُّ دلالة الصوت ركنًا أساسيًا في التعبير القرآني، من خلال تأثيره على السامعين [٤].

أولاً- المعاني التي توحي بها أصوات حروف مفردات السورة.

*** معاني إيحاء أصوات الألفاظ في الآيات الأولى.**

من قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ(٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(٤)﴾[٥].

إنَّ الإيحاء الصوتي لمعاني ألفاظ هذه الآيات يتجلى في أجراس الأصوات التي تتألف لتكون كلمات ذات معان معينة، ولأنَّ كل جرس من أصوات الحروف له صفاته التي تميزه عن غيره، في كلمة ذات أصوات متناغمة، بحيث توحي بدلالة الكلمة، والتي وضعت من أجلها[٦]، وعند الاستعانة بالمستوى الصوتي لدراسة صفات الحروف ومخارجها في ألفاظ سورة الانشراح كما في قوله تعالى: (ألم نشرح لك صدرك)، نجد أنَّها حروف ذات أصوات مرققة في همس وانخفاض، وبالسؤال التقريري المثبت بهمزة الاستفهام والنفي الإنكاري، ومعنى القطع الذي تؤديه السكون على حرف الحاء في (نشرح)، ما يتناسب مع معنى قطع الضيق الذي كان في صدر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فهو يقول له في رحمة وعطف ولين، بأنَّه قد شَرَح له صدره، وجعله متسعًا رحبًا لنور الإسلام والإيمان، وقطع ذلك الضيق وتلك الشدة عنه، فكل معاني الآية في كلمة (نشرح)؛ الضيق والشدة والتعب، والرحمة والاتساع والانتشار والتفشي، الذي يؤديها حرف الشين، مع حرف الراء، في صوت يوحي بالتكرار والاستمرار لذلك الانشراح وتلك الرحمة والسعة[٧].

---

١ - ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ١٩٢/٥-١٩٣.
٢ - ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣٨٠/١٥.
٣ - ينظر: التعريفات، للشريف الجرجاني، ص: ٤٠.
٤ - ينظر: الإعجاز الصوتي في القرآن، لمحمد داود، ص:٦٣.
٥ - سورة الانشراح، الآية: ١- ٤.
٦ - ينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، لمحمد الكواز، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ص: ٣٢٧-٣٢٨.
٧ - ينظر: علم الأصوات العربية، لمحمد جواد النوري، وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص:١٧١.

وفي قوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) كلمة (وضعنا) بمعنى حططناه وأنزلناه عنك[٨]، وهذا المعنى يوحي به حرف الضاد المفخمة[٩]، الذي يناسب فخامة الواضع في قدرته على رفع الثقل الذي يكسر الظهر، فقوة حرف الضاد تطابق قوة وضع الشيء الثقيل من أعلى إلى أسفل[١٠]، والسكون مع صوت العين -في الكلمة- يمثل الصوت الذي يخرج بعد سقوط الشيء الثقيل من أعلى، وهو ما يدعم صوت الزاي في (وزرك) الذي يوحي بقوة ذلك الصوت بعد سقوطه، والجر الناتج عن حركة حرف الواو الذي قبلها يتناسب مع نزول الثقل إلى أسفل، وصفير (الزاي) يوحي بصوت جر ذلك الحمل الثقيل، الذي يقارع صوت السقوط، ويدعم هذا المعنى أيضًا صوت الراء الذي يليه.[١١]

وتتقارع معاني تلك الأصوات مع حروف الآية التي تليها، في قوله تعالى (الذي أنقض ظهرك)، فهذا الثقل يكسر الظهر ويهدُّه، صورة تصورها أجراس حروف كلمة (أنقض)، فالنقض هو الهدم، [١٢] والمعنى تحطم الظهر وسماع صوت تحطمه، ثم وقوعه وسقوطه، والمعنى الذي يوحي به حرف القاف في فخامة صوته وقوته يتناسب مع معنى الصوت الناتج عند انكسار الظهر، بسبب ذلك الثقل الذي كانت تحمله معاني أصوات الحروف في الآية السابقة.[١٣]

ومن معنى الإسقاط والإنزال انتقل في قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) إلى معنى الرفع والسمو السهل، دون مشقة أو تعب، بأصوات ذات صفات مختلفة في قوله (ورفعنا)، كما أوحت به صفات أصوات حروف الكلمة، فحرف الفاء المتوسط والمهموس مع حرف الراء الذي سبقه، يعطي للكلمة معنى يتناسب مع قول المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية، بأنَّ الله قد رفع ذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع ذكره -عز وجل- باستمرار مع كل آذان يؤذن لإقامة الصلاة، بارتفاع صوت المنادي في كل مسجدٍ، وهي معاني تطابق ارتفاع حرف الفاء المنفتح وتكرار حرف الراء[١٤].

*** معاني توحي بها أصوات الآيات الأخيرة**

قال تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾[١٥]

---

٨ - ينظر: التفسير المنير في عقيدة الشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى،١٩٩٨م، ٢٩١/٣٠.

٩ - ينظر: الصوتيات العربية، منصور بن محمد الغامدي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص: ٩٣.

١٠ - ينظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣-٢٠٠٨م، ٢٤١/٥.

١١ - ينظر: القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة رسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، باب الطاء فصل الحاء، مادة: حطّ، ص: ٦٦٢.

١٢ - ينظر: لسان العرب، باب الضاد، فصل النون، ٢٤٢/٧.

١٣ - ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي(٤٢٧هـ)، أخرجه: صلاح بن عثمان، وآخرون، نشر: دار التفسير بجدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٥٢٥/٢٩، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، باب النون فصل القاف وما يثلثهما، مادة: نقض، ٢٤٨/٤.

١٤ - ينظر: الكشف والبيان، ٥٢٨/٢٩.

١٥ - من سورة الانشراح، الآية: (٥ - ٨).

وقوله (العسر يسرًا) في الآيات السابقة، تكرر فيهما حرفي السين والراء، فالسين يحمل صوت الصفير في همس، مقابل تكرار الراء وانحرافه، ما يتفق مع معنى شدة الفقر والعسر الذي يقابله السهولة واليسر، [١٦] صوتان يحملان صفات صوتية مختلفة تتألف لتعبر عن معنى الاختلاف الذي كان بين العسر واليسر، وهذه التوأمة تتفق مع توأمة كلمتي (العسر واليسر) أي لكلِ عسر يسر، بأصوات تتناسب مع ذلك التتابع والانقياد الذي بينهما كان التعبير القرآني في غاية من التناسق الرمزي والمعنوي. [١٧]

أمَّا في قوله تعالى ﴿فَإِذَا فرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾ في الآية أصوات تتفق صفاتها مع معانيها، ففي كلمة (فرغت) حروف تجمعها صفة واحدة وهي صفة الانفتاح، مع صفة التكرار في حرف الراء، والهمس في حرف الفاء، دلالة على استمرار العبادة واستمرار الفراغ منها، أو من مشاغل الحياة كما فسر بعضهم، والمداومة على ذلك فيه انفتاح يناسب انفتاح أبواب السماء للدعاء بعد كل صلاة، [١٨] وهذا ما توحي به دلالة كلمة (انصب) وما فيها من الأمر والحرص الشديد على الدعاء بعد التفرغ من العبادة، وإذا كان التفرغ من أمور الدنيا يكون الوقف والثبات للعبادة والصلاة، وهذا المعنى يؤيده تقارع أصوات كلمة (فرغت)[١٩].

ثانيًا- معاني توحي بها حروف فواصل السورة.

الفواصل لغة هي الفصل والقطع، والفواصل ظاهرة صوتية تخص القرآن الكريم، وهي ذلك الانسجام الصوتي المتتابع في التعبير القرآني، وعرّفها الرماني بأنّها «حروف متشاكلة في المقاطع توجب إفهام المعاني»[٢٠] وتعتمد غالبًا على أجراس حروف رؤوس الآيات، وتأتي أحيانًا في غير رأس الآية،[٢١] ولا يشترط التجانس الصوتي في الفواصل، فقد تكون أصواتها متقاربة المخارج وذات وزن واحد فقط[٢٢]، والفواصل تختلف عن السجع في أنها تابعة للمعاني، فلا يمكن تجريد الصوت عن المعنى الديني المراد، فهي تماثل صوتي للمعاني المعزوة في الآيات، وهذه الفواصل تهدف إلى إيراد الكلام في صورة جمالية منسجمة صوتيًا ومعنويًا، وما لاحظه العرب الفصحاء في تعابير القرآن من تصوير بديع وحسن وجمال صوتي لا يليق إلّا بالله -سبحانه وتعالى- فهو يفوق قدرة البشر في ذلك، مع أنّهم عاشوا عصر البلاغة والفصاحة؛ ولكنه كان معجزاً بالنسبة لهم، وهو ما دعا قريش إلى التسليم بأنَّ القرآن الكريم ليس من كلام البشر، ودعا الفقهاء أيضًا إلى عدّ هذا التفوق الجمالي في الأصوات اللغوية في القرآن الكريم وجه من وجوه الإعجاز[٢٣].

والفواصل في آيات سورة الانشراح تنقسم من حيث أصواتها إلى ثلاثة أنواع هي:-

---

١٦ - ينظر: القاموس المحيط، باب الراء فصل العين، مادة: عسر، ص: ٤٣٩.
١٧ - ينظر: الكشف والبيان، ٥٣٣/٢٩.
١٨ - ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، باب القاف فصل الراء وما يثلثهما، مادة: فرغ، ١٦٦٣/٣.
١٩ - ينظر: الكشف والبيان، ٥٥١/٢٩.
٢٠ - النكت في القرآن، ص: ٩٧.
٢١ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، ٥٣/١.
٢٢ - ينظر: الصناعتين: الكتابة والشعر، ص: ٢٦٣- ٢٦٤.
٢٣ - ينظر: الصوت اللغوي في القرآن، ص: ١٥٢.

ما جاء على صوت (الكاف) والذي يمثله ضمير الخطاب الموجه إلى شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بحيث ختمت الآيات بـــ (صدرك، وزرك، ظهرك، ذكرك)، والكاف صوت فيه دلالة السكون والثبات، المستوحاة من صفتي الهمس والإصمات[٢٤]، ما يدل على سكون هذا الانشراح والرفع في شخصه (صلى الله عليه وسلم)، [٢٥] وتكرار حرف الكاف في هذه الآيات يدعم هذا المعنى كثيراً.

ومع صفة التكرار التي يوحي بها الراء الذي سبق حرف الكاف يتجلى معنى الشدة والضيق المتبوع بالانفراج المتكرر، لدلالة على التتابع بين الضيق والفرج، ورحمته سبحانه تعالى التي سكنت قلب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فيبدل ضيق صدره بانشراحه واتساعه وانتشار نور الإسلام فيه، وبالاستمرار والدوام لذلك التتابع.

وقد ختم هذه الآيات بصوت يتناسب مع معاني السورة، وهي تثبيت الرسول (صلى الله عليه وسلم)، على تبليغ الرسالة وتحمل متاعبها ومشاقها، فأراد سبحانه وتعالى تذكير النبي بتلك النعم ممهداً بذلك لمعاني الآيات التي تليها[٢٦].

ما جاء على صوت (الراء)، مع إطلاق الألف عند الوقف على التنوين بالفتحة في لفظ (يسرا)، الذي تكرر في آيتين،[٢٧] وما يحمله صوت الراء من تكرار وانحراف مع مد الصوت عند الوقف على حركة فتحة الراء بعد حذف التنوين، وكل هذه الحالات الصوتية تتناسب مع أغراض الآية، وهي تكرار الانشراح ودوامه عليه (صلى الله عليه وسلم)، وانحراف الحال من العسر والضيق إلى الانبساط والانفراج، فعند الوقف على صوت التنوين الناتج عن التنكير – حركتي الفتحة – ينتج صوت إطالة حركة الفتحة على الراء بحذف إحدى الحركتين[٢٨]، ينتج صوت يوحي بمطابقة معنى الصوت للمعنى الذي ذكره المفسرون، بأنَّ العسر واحد واليسر يسران[٢٩]، فإطالة كمية الصوت تتناسب مع كمية اليسر، في دلالة على عظمة الخالق وقدرته على تيسير الأمور، وفي حذف الحركة وإسقاط صوت التنوين دلالة تتفق مع قطع الضيق وزواله، وفي انحراف صوت الراء عن مخرجه، ما يناسب الانحراف والميل عن ذلك الضيق.

وتتألف أصوات هذه الفاصلة مع أصوات فواصل الآيات السابقة، لتوحي بمعنى خروج الرسول (صلى الله عليه وسلم)، من حالة الفقر والشدة التي عيَّره بها كفّار قريش، إلى حالة السعة والرخاء في الرزق[٣٠].

ما جاء على صوت (الباء) في قوله (فانصب، فارغب)، صوت شديد قوي في أغلب صفاته، فيه تناسب مع معنى الأمر، وقوة صوت الباء الانفجاري الصادر من

---

[٢٤] - ينظر: الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص: ٢٧.
[٢٥] - ينظر: تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن رفيع التستري (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق: باسل عيون سود، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ص: ١٩٨.
[٢٦] - ينظر: التفسير المنير، ٢٩٢/٣٠.
[٢٧] - ينظر: الصوتيات العربية، لمنصور الغامدي، نشر: مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص: ٧٢-٧٣.
[٢٨] - ينظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني، ٢١/١-٢٢.
[٢٩] - ينظر: التفسير المنير، ٢٩٣/٣٠.
[٣٠] - ينظر: المصدر السابق.

الشفتين[٣١]، وصوت الصاد الذي يتميز بقوة الإطباق المسموع بصوت صفيري صادر من أعلى الحنك[٣٢]، ونزولاً إلى صوت الباء في الذلق أي من أعلى إلى أسفل، ما يتفق تماماً مع أسلوب الأمر الذي يصدر من أعلى رتبة إلى أقل رتبة، فالأمر صدر من الله سبحانه وتعالى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٣٣]، وكذلك في (ارغب) صوت الغين يتفق مع صوت الصاد في صفة الاستعلاء والتفخيم في كليهما[٣٤]، وهي تناسب عظمة الله وفخامته، وهذه القوة الصوتية المتمثلة في الجهر والشدة والتفخيم والاستعلاء والصفير، تتناسب مع قوة الأمر والحرص على العبادة وعدم التهاون فيها وإقامتها في صورة تناسب فخامة وعظمة الخالق سبحانه وتعالى.

وفي ختام الحديث عن أصوات أواخر فواصل سورة الانشراح نجد المعاني تتلاقى مع الأصوات من شدة الكاف إلى رخاوة الراء مع إطالة الألف بعد صوت صفير السين الذي يوحي بالرخاء والانفتاح الذي سيسمع في الأرجاء، فالتتابع الصوتي يطابق الأغراض الرئيسية للسورة، فاتساع صوت الراء وانفجار صوت الكاف يوحي بانفراج الضيق، وشدة الباء تناسب معنى الحث والحرص بكل قواه على المواظبة على عبادة الله سبحانه وتعالى[٣٥].

*** الخاتمة**

في سلسلة من الأصوات اللغوية المتلاحمة تشكلت معانٍ صوتية تربط بين حروف الكلمات ومعاني الآيات، وتنسجم صفاتها الصوتية مع هدوء ورقة النغمة المتصاعدة في انسياب متساوٍ مع المعنى العام للسورة، التي تدل على مخاطبة الله –عز وجل– لنبيه (صلى الله عليه وسلم) بعدما أتعبه أمر هذه الدعوة الإسلامية، فيعدد له النعم التي أعطاها إياها ربِّه دونما سؤال، ثم يعده بأنَّه سيفرج عنه ذلك التعب والمعاناة، بتفريج الضيق، ورفع أعباء الرسالة بانتشارها في كل الأرجاء، وكل هذه المعاني تتناسب مع صفات الحروف الصوتية التي جاءت في الآيات الكريمة.

---

[٣١] - ينظر: الأصوات اللغوية، ص:٤٧.
[٣٢] - ينظر: المصدر السابق، ص: ٦٩.
[٣٣] - ينظر: التفسير المنير، ٢٩٢/٣٠.
[٣٤] - ينظر: أحكام التلاوة والتجويد الميسرة، ص: ٢٨.
[٣٥] - ينظر: التفسير المنير، ٢٩٩/٣٠.